ولم يرد غلبته مالكم بل اراد ان يقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم فلا يترك لهم من يخلفهم
فعل ذلك ليحق الحق اي يثبت الدين الصادق باظهار المعجزات ويبطل الدين الباطل باستيصال
اهله مع ظهور شوكتهم وليس لموافقة طايفة منهم في الباطن بل ولو كره المجرمون كلهم فيفعل ذلك
اذ تستغيثون ربكم وهو انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثماية
وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه ودعا اللهم انجز ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك منا
شدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم لصدق استغاثتكم بامر هو مراده اني
ممدكم بالف من الملايكة مردفين اي تابعين للمشركين هذا اذا كسر وان فتح فمعناه مجعولين مقدمة
او ساقة والزيادة المذكورة في غير هذه الاية لمجرد التخويف وما جعله الله اي الامداد الا
لكونه بشرى لكم بانكم اهل الامداد السماوي ولتطمئن به قلوبكم لا للنصر اذ لا اثر للاسباب و
ان جرت سنة بالفعل عندها وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز اي غالب على
الاسباب فله ان يفعل بخلاف مقتضاها لكن لا يخالفها لانه حكيم ويدل على كونه للطمانينة انه
كان اذ يغشيكم اي يغطيكم النعاس اي النوم الذي يسلب عن الخايف فكان امنة منه ومن عنايته
لكم الدال على نصره اياكم انه ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة لتناسبوه
فتستفيضوا منه النصر فيفيضه عليكم هذا في الظاهر وفي الباطن يذهب عنكم رجز الشيطان
اي وسواسه وذلك انهم كانوا نازلين في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وناموا فاحتلم اكثرهم
وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء و
انتم تصلون محدثين جنبا وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله عليهم
المطر ليلا حتى جرى الوادي واسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا ويدل على اذهابه رجز الشيطان
انه كان ليربط على قلوبكم الوثوق على لطف الله وهذا تثبيت للباطن ويثبت به الاقدام على الرمل
لتلبده في الظاهر وقد ثبتها في المعركة بامداده عز وجل اياها بالملايكة اذ يوحي ربك الى الملايكة
اني معكم انصركم على الشياطين الموسوسة فثبتوا الذين امنوا بدفع الوسواس ولا امكن الشيطان
من تقوية قلوب المشركين بل ساليقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف من روية الملايكة
ولا تقتصروا على تخويفهم بل قاتلوهم فاضربوا اي فاقطعوا اعناقهم بوضع السيوف فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان اي طرف قال ابن عباس اشتد رجل من المسلمين اثر رجل من المشركين
فاذا هو قد خر مستلقيا امامه وقد حطم انفه وشق في وجهه كضربة السوط فاخبر به جبريل عليه السلام
فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة ذلك وان بعد عادة لا يبعد حكمة لكونه بانهم شاقوا

اى

اي عادوا الله فلا يبعد ان ينزل عسكره من جانب سمايه كيف وقد عادوا رسوله وعداوة الرسول
عداوة المرسل ولا يبعد اغراؤهم بالضرب فوق الاعناق وضرب كل بنان لانه نوع من الشدة التي
يستحقها اعداء الله ورسوله فان من يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب وشدة عقابه
وان كان مختصة بالاخرة فلا بد في الدنيا من مثال لها يدل عليها فيكون ذلكم مثالها ودليلها ولا
يتم دلالته الا بالذوق فذوقوه فهو وان كان مثالا لها فليس قايما مقامها لذلك ان للكافرين
عذاب النار يا ايها الذين امنوا مقتضى ايمانكم اعتقاد ان النصر من عند الله وانه ناصر
لاوليائه وان له شدة على اعدائه لذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذ رايتموهم من كثرتهم كانهم يمشون
مشي الصبيان يزحفون على مقاعدهم زحفا فلا تولوهم الادبار اي الظهور بالانهزام ومن يولهم
يوميذ فيه اشارة الى انه يجوز توليتهم الظهور فيما لا يفيد بهم قهرا على الاسلام دبره الا متحرفا اي قاصدا
للرجوع اليهم لقتال بعد ايهامهم الانهزام او متحيزا اي صائرا الى مكان فئة اي جماعة قريبة ليتبعه
العدو ويستعين بهم فقد باء اي رجع بغضب من الله مناسب لعظمته لانه ضيع نصر الله وافاد
العدو القاهرية بعد ما استحقوا المقهورية وماويه جهنم لكونه سبب قتل المسلمين فصار كقاتلهم
اجمعين وهو وان لم يوجب الخلود فهو بيس المصير كيف وهو كالتكذيب لكون النصر من
عند الله بعد رويته على خرق العادة فلم تقتلوهم اذ يصلهم ضربكم ولكن الله قتلهم على ايدي الملايكة
وما رميت رميا موصلا للتراب الى اعينهم اذ رميت التراب الى جهتهم ولكن الله رمى رميا
موصلا اليها بعد رميك فعل ذلك ليقهرهم ولكن امر به المؤمنين وليبلي المؤمنين منه لا لابلاء
قهر عليهم بل بلاء حسنا بالنصر والغنيمة وانما ابتلاهم ليدعوه فيتذللوا له ويشكروا صنعه عند رويته
حسنه ان الله سميع لمن دعاه عليم لمن شكره ذلكم كيف لا يكون بلاء حسنا ولا يكون هذا الابتلاء
ابتلاء قهر بمكر الكافرين بل يزداد بمكرهم حسنا ان الله موهن اي مضعف كيد الكافرين كيف
ولا يفيدهم كيدهم شيئا فانه ان تستفتحوا ايها المشركون بكيدكم فقد جاءكم الفتح بقتلكم واسركم
فالم نهكا بهم وكيف يفيدكم كيدكم مع انكم ان تنتهوا عن كيدكم فهو خير لكم اذ لا يستاصلكم الله
ولا تتوهموا انه ان لم يفدكم مرة يفدكم اخرى بل ان تعودوا الى الكيد نعد الى الاستيصال ولن
تغني اي لن تدفع عنكم الاستيصال فئتكم اي جماعتكم شيئا من الغنى كيف ولو كثرت وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة ولا يكون الا بقهركم وانما يكون مع المؤمنين اذا اطاعوه لذلك قال يا ايها الذين ثمن
امنوا اطيعوا الله وانما ياتي الطاعة باطاعة رسوله لذلك قال واطيعوا رسوله واطاعتهما
بترك التولي عما يسمع من كلامهما فقال ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا
سمعنا وهم لا يسمعون ثم اشار الى انه ليس مقتضى الايمان وحده بل مقتضى الانسانية ايضا فقال

Copyright © King Saud University